صرخات في مملكة الصمت

لم تعد أكثر من مملكةٍ للموت،
أو فاكهةٍ للصمت، أدعوها، وإن جارت، بلادي
وأسميها: انتحار القلب في موتٍ جميل
قمراً يسقط في البئر،
ربيعاً شائك الزهر،

أسميها: خريف الحلم، والليل الشتائيّ الطويلْ
خنجراً يرقد في الصَّدر،
اخْتفاء الموت بالموت، المواعيد التي تأتي ولا تأتي،
ودمع القاتل الباكي على القبر القتيل
وأنا أسميتها: المنفى، وأحزاناً لأطيار المسافات،
اشتغال الجسد الثلجيّ في المقهى...

وهذا السأم الكافر، هذا الجدل العاقر في الشعر وفي الخبز وفي عهر السياسة:

(ـ حسناً ما شئت. ألقاك غداً.

ـ «في البدء كان القول..» أعني ما فهمت!
ـ أجمل الأشعار ما غنّيت في ليل العيون الساحرة
ـ شتمتني عاهرة!
ـ وهو ما زال يعاني الجوع كلاّ يا رفيق.
ـ وكأن الجنس في أوطاننا غول خطير ذو ينوب.
ـ مات «نيرودا» شهيداً.
ـ من ترى يعرف كتابنا شكل الصليب.
ـ نحن قد كنا صديقين ـ ولا أكثر من هذا، ككل الأصدقاء.
ـ وحيداً مات في مشفى «المواساةِ»
إنما قد خانت الصدفة قلبينا فعُدنا غرباء!)

شعر : ابراهيم ياسين

لم تعد أكثر من خارطةٍ تأخذ شكل القلب .
أدعوها ، وإن جارت ، بلادي .
وبلادي لم تكن يوماً خرافه
أيها الناس ، ولا تاجاً لذي ملكٍ ولا قصر ضيافة .
ربما ضاقت براريها ،
وضاعت في دجى المنفى أغانيها . .
ولكن لست أدعوها حقيبة .
أو طريقاً للسفر
إنها التاريخ ، والثروة ، والحلم ، الغد الآتي وآمالي القريبة .
والأناشيد التي تولد من جرح الوتر
وأنا ما زلت في السرّ وفي الجهر أغنيها
وأدعوها إلى مائدتي كي نشرب الشاي ونرتاح على الشرفة . . .
هل تأتي الى موعدها سيدتي؟
هل يفرح القلب ، وهل تعطي يديها الابتهالات والنشيد؟
إنني منتظر في وحشة الصحراء . .
مشدود إلى بحرٍ كآمالي ، بعيدْ
إنني منتظرٌ
صحـراء . . يا صحـراء . . هل أخّـرها الجـوع؟ عيون «الإخـوة الأعداء»؟ أن دوريّة الأمن؟
بلادي . .
كيف لا أبصرها فيما يرى القلب
وفيما لا يرى «الضابط» أم هذي التي تنكرني ليست بلادي؟!
مرّة ـ أذكر ـ في السرّ تواعدنا
وكان الوعد أن تأتي إذا ما انتصف العُمر ، سدىً يرتحل العمل
ولا تطلع من أسرارها «ذات العماد»
قلت : لا بدّ سألقاها . . وما زلت إلى جنّتها أعبر وادي الليل .
من ليلٍ إلى ليلٍ ، ومن جوعٍ إلى قتلٍ ، ومن قتلٍ إلى قتلٍ إلى
قتلٍ . . .
إلى أخرة الموت المكرّر والمُعاد
أنذا عادٍ على أعتابها كالثلج أسّاقطُ أشعاراً
وكالريح على أبوابها الثكلى أنادي :
يا بلادي
أخرجي من صدأ الموت ومن أسطورة الموت
أخرجي من آية الكرسيّ
من ليل الزنازين وأوجاع المساكين
أخرجي من جرحي النازف في خاصرتي اليسرى
ومن جمر حنيني
واخرجي ، كالمطر السرّي ، من جوع الملايين
ومن عهر السلاطين
أخرجي من حضرة الوالي وأمجاد أمير المؤمنين
أو خذيني . .
من أفانين المماليك وأحزان الصعاليك ، خذيني
من رياحٍ عبرت جسمي سكاكيناً
ونامت في عيوني
فأنا ما زلت رغم الخوف والسيف الذي يرتاح في لحمي أغنّيك
وفي منفى لياليك أنادي :
يا بلادي
يا بلادي
يا . . بلا . . د . . ي ي ي . . . . .

بصرى الشام ـ سوريا